محاربة السرطان

داء السرطان من الادواء التي اعيا الاطباء كشف سببها ووصف علاج يشفي منها. وقد قرأنا في مجلة لندن الانكليزية مقالةً فيهِ لاحد كبار الجراحين فلخصناها بما يأتي

ان داء السرطان من اعسر ما اشكل على الاطباء والجراحين منذ القديم الى هذا اليوم مع انهم لم يألوا جهدًا في سبيل البحث للوصول الى الدواء الشافي . على ان قصورهم عن التوصُّل الى ذلك الدواء لا يجب ان يبعث فينا القنوط واليأس لان العالم كلهُ ينتظر اليوم بفروغ صبر وبفؤاد ملؤهُ الآمال حلَّ هذه المشكلة الغامضة

والعقدة في كل ذلك راجعة الى جهل اسباب العلة فمتى عرف الاطباء تلك الاسباب تمام المعرفة لم يبقَ في سبيلهم ما يعوقهم عن معرفة الدواء . ولقد ادَّعى بعضهم ان الملح اعظم تلك الاسباب ويرهن على ذلك بقولهِ ان السرطان غير معروف بين القبائل المتوحشة التي قلما تأكل الملح . وان اكثر الحيوانات الاليفة التي تأكلهُ تكون هدفًا لسهامهِ بخلاف الخنازير التي لا تأكلهُ فلا تصاب بالسرطان . ويقال ايضًا ان هذا الداء يندر وجودهُ في السجون وفي المعامل حيث يقل اكل اللحم ويكثر حيث يكثر الناس من اكل اللحم المملح ولكن جميع هذه الادلة واهنة غير مقنعة وكل ما يمكننا ان نقولهُ عن اسباب السرطان هو اننا لا نعلمها حتى الآن

وانفع علاج معروف الآن لهذا الداء سكين الجراح . ولكن الجراح والمريض كليهما يعلمان حق العلم ان الجسم عرضة لعودة العلة في المستقبل . فلا يكاد عضو يتخلص منها حتى تظهر في عضو آخر . وهي تفتك بالبشر فتكًا ذريعًا فقد كانت الوفيات خمسة بالمئة من الذين يصابون بها فبلغت الآن عشرة في المئة ومات بها سنة ١٩٠١ في مدينة لندن وحدها ٤٢٥١ شخصًا وفي ذلك زيادة عن كل السنين التي سبقت ممَّا يدل على ان انتشار العلة آخذ في الازدياد . ولكن الاطباء مختلفون في امر تلك الزيادة مع ان الاحصاءات تدل على ان الوفيات بالسرطان اليوم هي ضعف ما كانت عليهِ منذ نصف قرن ويقول جمهورهم ان ذلك لا يدل على ازدياد العلة بل يرجح ان الزيادة ناتجة عن تقدم الطب تقدمًا جعل التشخيص الطبي ادق ممَّا كان في القديم حينما كان كثيرٌ من الوفيات بالسرطان ينسب الى غيرهِ من العلل

اما السرطان فهو خراج من نوع الخراجات الخبيثة . واهم خواصهِ النمو المستمر اي انهُ متى ظهر فلا بد من نموهِ نموًّا لا يتوقف عند حد بخلاف الخراجات غير الخبيثة التي اذا بلغت

حدّاً معلوماً من النمو توقفت . ومن خواصهِ ايضاً انهُ يمتد الى كل الجهات المجاورة ولا شيءَ يصدّهُ او يحصرهُ . فالسرطان في الشفة مثلاً يمتد الى ما يجاورها كاللثة وغيرها بخلاف الخراجات البسيطة او غير الخبيثة فان لها جداراً يحصرها في مكان واحد

ومن خواصهِ ايضاً انهُ اذا استؤصل فمن المرجح انهُ يعود ثانية في المستقبل . وانهُ اذا ظهر في مكان من البدن ظهرت خراجات اخرى من نوعهِ في اماكن اخرى وتسمى هذه الخراجات ثانوية . فالسرطان في الثدي كثيراً ما يسبب سرطاناً في الرئة او الكبد او في غيرهما مما لا يظهر بينهُ وبين المكان الاول ادنى علاقة . ثم ان السرطان يتقرّح ويصير في درجاتهِ الاخيرة مؤلماً جداً في الغالب . وقد يسبب تسمماً في الدم وفقداناً في قابلية الطعام الى ان ينتهي الاجل بخلاف الخراجات غير الخبيثة التي لا تتقرح الاَّ في النادر ولا تكون ممتة الاَّ اذا ظهرت في عضوٍ من الاعضاء الرئيسية اي اللازمة للحياة

قلنا آنفاً ان اسباب هذه العلة مجهولة او لا تزال في معرض الظن واقرب هذه الظنون الى الاحتمال ما يأتي

الاول ان العلة مسببة عن حيٍّ من الاحياء الصغيرة التي تدخل الجسم وتنمو فيهِ . وبناء على هذا الرأي قام جمهور من الباحثين واجتهدوا في اكتشاف هذا الحي وذهب بعضهم الى انهم عثروا عليهِ ولكن ظهر بعد البحث المدقق ما ابطل دعواهم . على ان ذلك لم يثبط عزيمة غيرهم من الذين لا يزالون حتى هذا اليوم يوالون البحث والتنقيب

والرأي الثاني هو ان السرطان مسبب عن فساد في حيوية الخلايا ناتج عن تهيج محلي

والرأي الثالث هو ان هذه العلة ناتجة عن مواد تؤكل مع الطعام تؤثر في بعض الخلايا تأثيراً رديئاً فتسبب السرطان . ويقول آخرون ان اجهاد المجموع العصبي يعدُّ الجسم للسرطان ولذلك كثر عدد المصابين بهِ في هذا العصر لكثرة اجهاد القوى العصبية

اما سبب عودة السرطان بعد استئصالهِ فيظن انهُ راجع الى عدم وجود كيس لهُ او حدّ يصدُّ امتدادهُ في الجسم وان خلاياهُ او مفرزاتهِ تخترق انسجة الجسم الصحيحة وتؤثر فيها . فاذا استؤصل القسم الظاهر من الخراج بقي قسم آخر غير ظاهر . يؤيد ذلك انهُ اذا اتسعت عملية القطع حتى شملت جانباً كبيراً مما حول السرطان ترجَّح الشفاء منهُ . ثم ان الخراجات الثانوية اي التي تنمو بعد استئصال الخراج الاول مسببة على ما يظهر عن مرور بعض المواد الحاملة جراثيم العلة في الاوعية الليمفاوية او الدموية . ومما يستحق الملاحظة ان تركيب الخراجات الثانوية يماثل تركيب الخراجات الاولية كل المماثلة

لما كانت معرفتنا بالدواء هي على قدر معرفتنا بالداء فاحسن ما يمكننا ان نصفهُ لهذه العلة هو استئصالها بعملية جراحية مع انها قلما تنجح. وقد ذكرنا سبب عدم نجاحها وهو انهُ قد يبقى شيءٌ من الانسجة فيهِ جراثيم العلة او قد تكون جراثيم العلة سرت في البدن الى اماكن اخرى. مثال ذلك اننا نجد السرطان في ثدي امرأة فنستأصلهُ كلهُ فتشفى منهُ حسب الظاهر وتبقى سليمة سنتين او اكثر الى خمس عشرة سنة ثم يظهر السرطان في كبدها او رئتيها او دماغها وهذا السرطان مثل الاول تماماً لان هذه الاعضاء كانت مصابة بهِ وقتما نُزع الثدي المصاب ولكن لم يكن سبيل لمعرفة ذلك ولا داء يختلف في سرعة سيرهِ وبطئهِ مثل السرطان فقد يظهر ويبلغ حدهُ في ثلاثة اشهر وقد لا يتكامل في اقل من عشرين سنة . وافضل نصيحة يُنصح بها من يظن ان بهِ سرطاناً ان يبادر الى الجراح لينزعهُ قبلما ينتشر في بدنهِ. وهذا العلاج على قلة فائدتهِ هو انجع علاج لعلة حتى الآن . وفيهِ مركز ضعف الاول ان الجرَّاح لا يعلم حينما ينزع السرطان انهُ استأصلهُ كلهُ والثاني ان السرطان في درجاتهِ الاولى لا يكون مؤلماً حتى يحمل المصاب بهِ على الالتجاء الى الجرَّاح لنزعهِ فتضيع افضل فرصة لاستئصالهِ. وظهور السرطان خفيّ وسيرهُ بطيءٌ حتى لا يشعر بهما المصاب الاَّ حينما يتفاقم شرهُ . وفي كل اسبوع يأتينا اناس فيهم سرطان ظاهر ويقولون انهُ لم يكن فيهم قبلاً مع اني متأكد انهُ كان فيهم منذ شهور كثيرة

ومع ان الاحوال الحاضرة تكاد تضعف فينا الرجاء الاَّ انها ليست باعثة على اليأس كما قلنا سابقاً لاسيما وان اعظم الثقات يعتقدون ان المستقبل سيكشف لهذا الداء علاجاً ثابتاً افضل من سكين الجراح . وقد انقطع كثير من الاطباء لدرس هذا الموضوع والبحث فيهِ بتدقيق ولا ريب ان اتعابهم لن تذهب سدًى

واحسن الوسائل التي يستعملونها في محاربة هذا الداء هو معالجة المصاب بهِ باشعة النور وافضلها واشهرها اشعة رنتجن التي ظهرت فائدتها في شفاء مرض الآكلة الذي هو نوع من انواع السرطان . وقد عُلم ان لها ايضاً فائدةً عظيمةً في تخفيف الآلام في بعض انواع السرطان وانها تشفي احياناً الوجوه المتقرحة وانها كثيراً ما تقلل نمو البثور. على اننا لا يمكننا ان نجزم بتمام فائدتها الاَّ في داء الآكلة . ولما كانت معرفتنا بهذه الاشعة حديثة كان لنا عظيم الامل ان تزداد تلك المعرفة فتزداد فائدتها

ثم ان السرطان قد يشفى من نفسهِ في بعض الاحيان وقد شوهد ذلك حتى في الذين كانت العلة قد تمكنت منهم وهذا يدل على ان شفاءهُ ممكن. فاذا كانت الانعالات الجسدية

الطبيعية تقضي بشفاء العلة ولو نادراً فلا يبعد اننا نتمكن من مساعدة هذه الافعال حتى يقوى فعلها ويزيد عدد الذين يشفون بها

ولا يخفى ان كثيرين اهتموا حديثاً بالبحث عن علة هذا الداء وعن دواء يشفي منهُ فاقام العلماء لجاناً مخصوصة لهذا البحث وجُمعت الاموال الطائلة لذلك . بدأت انكلترا هذا العمل واقتدت بها المانيا والولايات المتحدة . والاطباء الذين يفتشون عن علاج للسرطان ينظرون في كل علاج يُعرَض عليهم مهما كان ويمتحنونهُ وحتى الآن لم يجدوا علاجاً شافياً . وممَّا يبحثون عنهُ جغرافية السرطان اي الاماكن التي يكثر انتشارهُ فيها فوجدوا انهُ اكثر في الاماكن الواطئة التي تغمرها مياه الانهر منهُ في الاماكن العالية . ومن الغريب انهُ يتردَّد على بعض البيوت فيصيب سكانها اكثر مما يصيب غيرهم . ومن المحتمل انهُ من الامراض المعدية اذ قد اصيب بهِ رجل وزوجتهُ وكثيرون من العلماء يبحثون الآن عن اصلهِ وعن دوائهِ في انكلترا واميركا وايطاليا وفرنسا والمانيا وروسيا وكل الممالك المتمدنة يقضون الايام في البحث والتنقيب وقد لا يعودون بطائل ولكن اذا وُفِّق احدهم الى كشف الدواء الشافي فيكون قد افاد ابناء نوعهِ فائدة لا تقدَّر وينظر اليهِ كاكبر منعم على نوع الانسان

القضاء والقدر وطول الاعمار

قال بعض الجهابذة حصل لي اليأس من معرفة خمس وهي سرُّ القدر والروح والزمان والمكان والجوهر الفرد. وقد رأيت اناساً تخيلوا انهم عرفوها فوجدتهم ارباب وهم خُيِّل لهم حصول الفهم . وهي على التحقيق من المسائل الغامضة اشتدَّ فيها الجدال قديماً وحديثاً بين الالهيين والطبيعيين وقد جوَّد الكلام على القدر استاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري في شرح خُطب ابن نباتة وهو الشرح الذي ضمنهُ حلَّ كثير من المسائل الغامضة ومنها مسألة حدوث العالم على وجه يجمع بين العقل والنقل قال : التقدير هو تحديد كل مخلوق بحدهِ الذي يوجد عليهِ من حسن وقبح ونفع وضرٍّ وغير ذلك . والقدَر هو تعليق كل حال من احوال الاعيان بزمان معيَّن وسبب معيَّن . والقضاء عبارة عن الحكم الكلي الالهي في اعيان الموجودات على ما هي عليهِ من الاحوال الجارية عليها من الازل الى الابد. فالتقدير الحكم على الشيء بان يكون كذا على سبيل الوجوب او على سبيل الامكان . والقضاء الفصل في الحكم فيهِ . فكل مقضيٍّ مقدَّر وليس كل مقدَّر مقضيٌّ . فالمقدر ما لم يكن مقضيًّا يرجى ان يدفعهُ الله . ومعنى